علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر
الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود
ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد
ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه
بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما
ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين
لتفاضل الامور او لتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض
تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا
عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها
ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا
سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذى جعل لكم
الليل لباسا شبه ظلامه باللباس فى ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل
واصل السبت القطع او موتا كقوله تعالى وهو الذى يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت
للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث
الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمن عليه السلام يا
بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد
ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى
به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدى
رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله تعالى ليطهركم به وهو اسم
لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور المؤمن
طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة
وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب
وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما
خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم
بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار
على الفعل كساير ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى

كثيرا يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان
اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن
سقيا السماء وساير الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه
الآيات كما هو للدلالة على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة
منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء
الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل
له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين
فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وساير الكتب
او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما
وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله تعالى قسم ذلك بين العباد على ما شاء وتلا هذه الاية
او فى الانهار او فى المنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا
بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم وقرا حمزة والكسائى بسكون الذال وضم الكاف
مخففة فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من
خلق الله تعالى والانواء وسايط او امارات بجعل الله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما
لشانك وتفضيلا لك على ساير الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق
فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او
بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد
فى مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث
الى كافة القرى وهو الذى مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج
دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ
الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا
من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل
حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل
المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض

عباده

Copyright © King Saud University